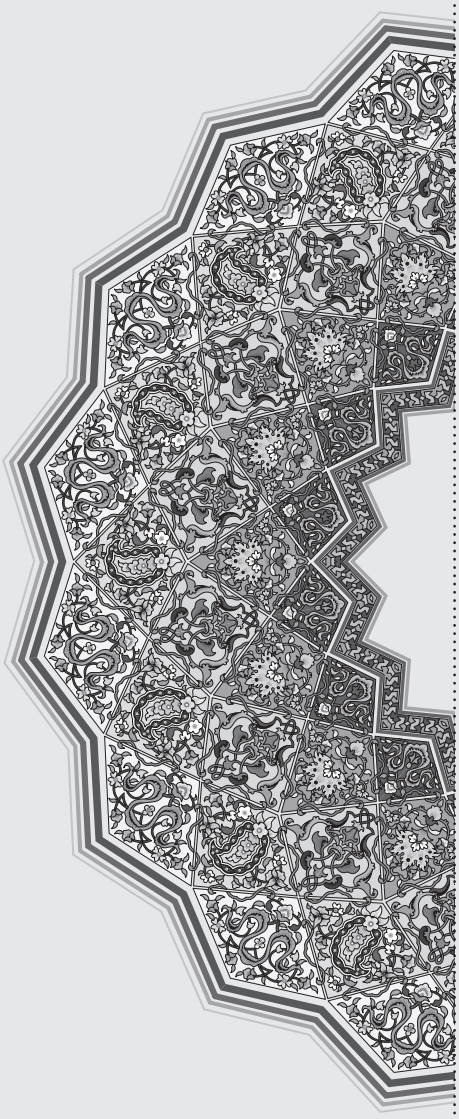

شخصيات من الحرمين الشريفين (٣٣)

أبوالهيثم مالك بن التيهان

محمد سليمان

صحابيٌّ جليلٌ، رسمت معالمَه مدرسةٌ هي من أرقى وأفضل مدارس الدنيا منهجاً ومضموناً، فصياغةً لطلابها، وإعداداً لهم على المستوى الروحي والإيماني والالتزام الأخلاقي، فكانوا بحقٍّ دعاةً صادقين إلى الله تعالى، فبعد أن أسلموا وآمنوا، لم يغيّروا ولم يبدّلوا حتى لقوا ربَّهم، ودون أن ينقضوا عهدهم الذي عاهدوا الله عليه، ولعلّهم صاروا مصداقاً للآية:

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً﴾.[1]

---

١ . الأحزاب : ٢٣.

وهو ما جاء توكيده على لسان الإمام الرضا عليه السلام حين وصف هذا الصحابي مع طائفة من إخوته بأنهم لم يغيروا ولم يبدلوا:

«... والذين مضوا على منهاج نبيهم صلى الله عليه وآله، ولم يغيروا ولم يبدلوا مثل سلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر، وحذيفة اليماني، وأبي الهيثم بن التيهان، وسهل بن حنيف، وعبادة بن الصامت، وأبي أيوب الأنصاري، وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين، وأبي سعيد الخدري، وأمثالهم رضي الله عنهم ورحمة الله عليهم، والولاية لأتباعهم وأشياعهم، والمهتدين بهداهم، والسالكين منهاجهم، رضوان الله عليهم...».[1]

إنّه مالك بن التَّيِّهان أو التَّيهان؛[2] بن مالك الأنصاري بن عبيد بن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر، أبو الهيثم البلوي، بن بلّي بن الحاف بن قضاعة حليف بني عبد الأشهل.

وقد عرف بكنيته (أبوالهيثم الأنصاري) وأنّه من أعلام صدر الإسلام الأوّل الهجري، ولم أجد تحديداً لولادته أو مكانها.

وقد ذكر الذهبي عن نسبه التالي:

أبو الهيثم، مالك بن التيهان بن بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة الأنصاري، حليف بني عبد الأشهل؛ قاله جماعة.

وقال عبدالله بن محمد بن عمارة الأنصاري: هو من الأوس، من أنفسهم.

وأردفه بقول ثان هو:

---

١ . أنظر عيون أخبار الرضا٧ ٢ :١٢٦، الباب ٣٥.

٢ . أنظر سير أعلام النبلاء: الصحابة. هكذا ورد بتشديد الياء وتخفيفها فهو يخفف ويثّقل كقوله: ميت وميِّت. أنظر ابن هشام في سيرته٢ : ٤٣٣، وهامش٤٤٢. وفي جامع الأصول لابن الأثير كلام في لقب هذا الصحابي، يأتينا في فقرة علماء الرجال.

ابن التيهان بن مالك بن عمرو بن زيد بن عمرو بن جشم بن الحارث بن الخزوج بن عمرو بن مالك بن الأوس.

هذا عن أبيه، وأما عن أمّه فقد قال: وأمه من بني جشم المذكور.[1]

إسلامه وصحبته:

لقد كان الرجل كارهاً للأصنام، التي ظلَّ أهل الجاهلية يعبدونها من دون الله تعالى، بل ويتألم ويحزن لوجودها، وكان صاحبه أسعد بن زرارة يشاركه في ذلك؛ ولهذا كانا من أوائل من أعلن إسلامه بمكة حتى جعل أبوالهيثم في الأشخاص الثمانية من الأنصار، الذين آمنوا برسول الله ﷺ وفي الستة من الأنصار، الذين يروى أنهم أول من لقي رسول الله ﷺ فأسلموا قبل قومهم، وقدموا المدينة يحملون الإسلام، وراحوا يبلغونه قومهم وغيرهم، فأفشوا الإسلام في مدينتهم يثرب، وقد وقع هذا منهم قبل وصول رسول الله ﷺ إليها مهاجراً من مكة المكرمة.

وذكروا أن أبا الهيثم قد شهد العقبة مع السبعين من الأنصار، وكان هو أحد النقباء الاثني عشر... وهكذا راح يسجل منقبةً بعد أخرى، وموقفاً نبيلاً بعد آخر في سيرته ودعوته إلى الله تعالى، وفي تحمل مسؤولياته عبر جهاده المتواصل، وتفانيه في إعلاء كلمة الحقِّ، واستيعابه لمبادئ وقيم المدرسة النبوية الرسالية، حتى غدا من أكابر المنتسبين إلى مدرسة الصحبة المباركة، بعد أن جاءها بإرادته فانتمى إليها، فنال بذلك أوسمة، كان قد استحقها؛ لما يتمتع به من سيرة محمودة، بدأت وهو يخطو أولى خطواته إلى الله تعالى، فكان:

---

١ . سير أعلام النبلاء: الصحابة، ترجمة (ابن التيهان).

وسامه الأول:

أنّه أوّل من أسلم من الأنصار بمكة مع أسعد بن زرارة.

قال الذهبي: قال الواقدي: كان أبو الهيثم يكره الأصنام في الجاهلية ويؤفف بها، ويقول بالتوحيد هو وأسعد بن زرارة وكانا من أوّل من أسلم من الأنصار بمكة.[١]

وسامه الثاني:

أنّه أوّل من تشرّف بلقاء رسول الله ﷺ قبل قومه. أو أنّه كان أحد الستة الذين منَّ الله تعالى عليهم بلقاء رسول الله ﷺ في العقبة. قبل أن يشهد العقبتين.

قال الذهبي: ويجعل في الثمانية الّذين لقوا رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، بمكة، ويجعل في الستة، وفي أهل العقبة الأولى الاثني عشر وفي السبعين.[٢]

وسامه الثالث:

أنّه أوّل من ضرب على يد رسول الله ﷺ للبيعة. فقد شهد بيعتي العقبة الأولى والثانية.

وتحت عنوان: أول من ضرب على يد الرسول ﷺ في بيعة العقبة الثانية.

قال ابن إسحاق: فبنو النجار يزعمون أن أبا أمامة، أسعد بن زرارة، كان أول من ضرب على يده؛ وبنو عبد الأشهل يقولون: بل أبو الهيثم بن التيهان.

قال ابن إسحاق: فأما معبد بن كعب بن مالك فحدثني في حديثه، عن أخيه عبدالله بن كعب، عن أبيه كعب بن مالك، قال: كان أول من ضرب على يد

١ . سيرأعلام النبلاء ١ : ١٩٠.

٢ . سير أعلام النبلاء : الصحابة.

رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، البراء بن معرور، ثم بايع بعدُ القومُ.[١]

وسامه الرابع:

أنّه من النقباء الاثني عشر، الّذين اختارهم رسول الله ﷺ باختيار جبرئيل عليه السلام في بيعة العقبة الثانية. ولا خلاف في هذه كلّها بين المحدثين. حتى عدّت كلُّها مناقب له، إضافةً إلى مواقفه النبيلة الأخرى التي تأتينا.

يقول ابن هشام: حتى إذا كان العام المقبل، وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً، فلقوه بالعقبة، وهي العقبة الأولى، فبايعوا رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، على بيعة النساء (فقد ذكر الله تعالى بيعة النساء في القرآن، فقال: ﴿يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لاَ يُشْرِكْنَ بِاللّهِ شَيْئاً﴾ فأراد ببيعة النساء أنهم لم يبايعوه على القتال. وكانت مبايعته للنساء أنه يأخذ عليهن العهد والميثاق. فإذا أقررن بألسنتهن، قال: قد بايعتكن.[٢]

وذلك قبل أن تفترض عليهم الحرب. وراح يذكر أسماءهم وقبائلهم حتى وصل إلى رجال العقبة من الأوس فقال:

وشهدها من الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، ثم من بني عبدالأشهل بن جُشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس: أبوالهيثم بن التيَّهان، واسمه مالك.[٣]

عهد الرسول ﷺ على الأنصار:

بدأ موسم الحج في السنة الثالثة عشرة من النبوّة، وكان موسماً يحمل الخير

١ . السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٤٤٧.
٢ . راجع الروض الأنف.
٣ . أنظر السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٤٣٣ والهامش.

كله. فقد خرج وفدٌ من يثرب لأداء الحج، وكان بإمرة عبدالله بن أبي بن سلول رأس المنافقين فيما بعد، وكان الوفد يضمُّ ثلاثمائة حاج وقيل خمسمائة، منهم خمسة وسبعون من المسلمين (ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان). لم يعرف المشركون ممن كانوا في هذا الوفد إسلامهم؛ فمع أن دعوة مصعب بن عمير في يثرب، كانت دعوةً علنيةً، يحميها أسعد بن زرارة، لكن لم يكن كل من يؤمن يعلن إسلامه؛ مراعاة لظروف المدينة التي يكثر بها المشركون واليهود؛ لضمان استمرار الدعوة، حتى يحين الوقت التي يعلن فيها المسلمون عن أنفسهم في وقت يستحيل فيه استئصالهم.

يقول كعب بن مالك الأنصاري وهو يصف أحداث بيعة العقبة الثانية: وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا...

وتمَّ اللقاء في آخر ليلة من ليالي الحج، وهي الليلة الثالثة عشرة من شهر ذي الحجة. والمكان هو الشعب الأيمن عند العقبة الثانية، فقد اجتمع ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان، فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغّب في الإسلام، ثم قال: «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم».

فأخذ البراء بن معرور بيده، ثم قال: نعم، والذي بعثك بالحق نبياً، لنمنعنك مما نمنع منه أزُرَنا (أي نساءنا، والمرأة قد يكنى عنها بالإزار، كما يكنى أيضاً بالإزار عن النفس). فبايِعْنا يا رسول الله، فنحن والله أبناء الحروب، وأهل الحلقة (السلاح)، ورثناها كابراً عن كابر.

فاعترض القولَ، والبراءُ يكلم رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، أبو الهيثم بن التيهان، فقال: يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال حبالاً، وإنا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيتَ إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك اللهُ أن

ترجع إلى قومك وتدعنا؟

فتبسّم رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، ثم قال: بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم.

قال ابن هشام: ويقال: الهدم الهدم: يعني الحرمة. أي ذمتي ذمتكم، وحرمتي حرمتكم.

النقباء:

قال كعب بن مالك: وقد قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: «أخرجوا إليَّ منكم اثنى عشر نقيباً، ليكونوا على قومهم بما فيهم. فأخرَجوا منهم اثني عشر نقيباً، تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس.

وكان ابن التيهان وهو من الأوس أحدهم كما نصَّ على هذا ابن هشام بقوله:

وأهل العلم يعدّون فيهم أبا الهيثم بن التَّيهان، ولا يعدون رفاعة.

وقال كعب بن مالك يذكرهم، فيما أنشدني أبو زيد الأنصاري:

أبـو هيثـم أيضـاً وفيّ بمثلهـا وفـاء بـما أعطـى مـن العهـد خانع

فذكر كعب فيهم (أبا الهيثم بن التيهان) ولم يذكر (رفاعة).

قال ابن إسحاق: فحدثني عبدالله بن أبي بكر: أنّ رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم قال للنقباء: «أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء، ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومي»؛-يعني المسلمين- قالوا: نعم.[1]

---

١ . أنظر السيرة النبوية لابن هشام٢ : ٤٤٢-٤٤٦ بيعة العقبة الثانية، أسماء النقباء.. والقصيدة ضمّت أربعة عشر بيتاً.

المؤاخاة:

انطلاقاً من قيم الدين الجديد، وتطبيقاً عملياً للأخوة العامة التي جاء بها، وتخفيفاً لمعاناة المهاجرين، وتوحيداً للأمة المسلمة، وتشييداً لدولتها، وتنظيماً لقاعدتها، راح رسول الله ﷺ يعتمد خطوات عديدة في المدينة المنورة، كان منها المؤاخاة الخاصة بين المهاجرين القادمين إلى المدينة وأهل المدينة وأبنائها وهم الأنصار من الأوس والخزرج، ويالها من خطوة رائعة في تلاحم الساحة المسلمة وتآلف أبنائها .. فحينما وصل رسول الله ﷺ إلى المدينة، وكانت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، كان لكل من الصحابي مالك بن التيهان وهو من الأوس، والصحابي عثمان بن مظعون الجُمحي القرشي المهاجر نصيب من ذلك، حين آخى بينهما رسول الله ﷺ.[١]

المشاهد:

لم يتخلّف الصحابي أبو التيهان عن الحضور مع رسول الله ﷺ في مشاهده، فقد كان ممن شهد بدراً وأحداً والخندق، وبقية المشاهد مع رسول الله ﷺ.

وبعثه رسول الله ﷺ إلى خيبر خارصاً بعد ابن رواحة.

فعن محمد بن يحيى بن حبان أن أبا الهيثم بعثه رسول الله ﷺ خارصاً، ثم بعثه أبو بكر، فأبى وقال: إني كنت إذا خرصت لرسول الله ﷺ فرجعت، دعا لي.

وخَرَصَ يَخرُصُ خَرصاً: كَذَبَ، وفي التنزيل العزيز أتت خمس مرات في آيات خمس، وكلها تعني الكذب، منها: ﴿**قُتل الخرّاصون**﴾.[٢] وهو معنى

---

١ . أنظر سير أعلام النبلاء : الصحابة . وغيره.

٢ . سورة الذاريات : ١٠ .

من معانيها، ولكن الخرص هنا لغةً: من خَرَصَ الشيءَ: حزره وقدره بالظن، يقال: خرص النخل والكرم: حزر ما عليه من الرطب تمراً، ومن العنب زبيباً. وفي الحديث: «أنه ﷺ أمر بالخرص في النخل والكرم خاصة». فهو خارصٌ.[1]

وذكروا له موقفاً آخر :

جاء في تفسير الآية الثامنة من سورة التكاثر:

﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾.

القرطبي: روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة، قال: خرج رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ذات يوم أو ليلة، فإذا هو بأبي بكر وعمر؛

فقال: «ما أخْرجَكما من بُيوتِكمَا هَذِه الساعةَ»؟

قالا: الجوع يا رسول الله.

قال: «وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما؛ قُوما» فقاما معه؛ فأتى رجلاً من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة قالت: مَرْحباً وأهْلاً. فقال لها رسول الله صلى الله عليه [وآله]وسلم: «أين فلان»؟ قالت: يستعذِب لنا من الماء؛ إذ جاء الأنصاريّ، فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وصاحِبيهِ، ثم قال: الحمد لله! ما أحدٌ اليومَ أكرم أضيافاً مني. قال: فانطلق، فجاءهم بِعِذْق فيه بُسْر وتمر ورُطَب، فقال: كلوا من هذه. وأخذ المدية، فقال له رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: «إياكَ والحَلُوبَ» فذبح لهم؛ فأكَلُوا من الشَّاة ومن ذلك العِذق، وشرِبوا؛ فلما أن شبعوا وروُوا، قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم لأبي بكر وعمر: «والذي نفسي بيده لَتُسْأَلُنَّ عن نعيم هذا اليوم، يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم

١ . سير أعلام النبلاء للذهبي؛ والمعجم الوسيط : ٢٢٧ خَرَصَ. وانظر مفردات القرآن للحمصي.

ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم». أخرجه الترمذيّ، وقال(فيه): هذا والذي نفسي بيده من النعيم الذي تُسألون عنه يوم القيامة: ظِلٌّ بارد، ورُطب طَيِّب، وماء بارد؛ وكنَّى الرجل الذي من الأنصار، فقال: أبو الهيثم بن التَّيهان. وذكر قصته.

قلت: اسم هذا الرجل الأنصاريّ مالك بن التيهان، ويكنى أبا الهيثم. وفي هذه القصة يقول عبدالله بن رواحة، يمدح بها أبا الهيثم بن التَّيّهان:

فَلَـمْ أرَ كالإسـلامِ عِـزًّا لأمّـةٍ ... ولا مِثَـل أضيـافِ الإراشيّ مَعْـشَرَا
نبـيّ وصِدِّيـقٌ وفـاروق أمّـة ... وخـير بنـي حـوّاء فرعـاً وعُنْـصُرا
فوافَـوْا لِميقـاتٍ وقَـدْرِ قَضيـةٍ ... وكان قضـاء الله قَـدْراً مُقَـدَّرَا
إلى رجـل نَجْـدٍ يُبـاري بِجـودِهِ ... شُـموس الضُّحَى جوداً ومجداً ومَفخرا
وفـارِسِ خلـقِ الله في كل غـارةٍ ... إذا لبِـس القـومُ الحديـدَ المُسَـمَّرَا
فَفَـدَّى وحَيّـا ثـم أدْنَـى قِراهُـمُ ... فلَـمْ يَقْرِهِـمْ إلاَّ سَـمِيناً مُتَمَّـرَا

وقد ذكر أبو نَعيم الحافظ، عن أبي عسِيب مولى رسولِ الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ليلاً، فخرجت إليه، ثم مرَّ بأبي بكر فدعاه، فخرج إليه، ثم مرَّ بعمر فدعاه، فخرج إليه، فانطلق حتى دخل حائطاً لبعض الأنصار، فقال لصاحب الحائط: «أطعمنا بُسْراً» فجاء بعذْق، فوضعه فأكلوا، ثم دعا بماء فشرب، فقال: «لَتُسْأَلُنّ عن هذا يومَ القيامة».

قال: وأخذ عمر العِذْق، فضرب به الأرض حتى تناثر البسر نحو وجه رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم؛ قال: يا رسول الله، إنا لمسؤولون عن

هذا يوم القيامة؟

قال: «نعم إلا من ثلاث: كِسرة يسُدّ بها جَوْعَته، أو ثوب يستر به عَوْرته، أو جُحْرٍ يأوي فيه من الحرّ والقُرّ».[١]

هذا وقد اختلف أهل التأويل في النعيم المسؤول عنه في هذه الآية على عشرة أقوال، منها:

أنَّ هذا السؤال عن كلّ نعمة، إنما يكون في حقّ الكفار، فقد رُوي أن أبا بكر لما نزلت هذه الآية قال:

يا رسول الله، أرأيتَ أكلةً أكلتُها معك في بيت أبي الهيثم بن التَّيْهان، من خبز شعير ولحم وبُسْر قد ذنَّب، وماء عذب، أتخاف علينا أن يكون هذا من النعيم الذي نُسأل عنه؟ فقال عليه السلام: «ذلك للكُفار، ثم قرأ: ﴿**وَهَلْ نُجَازِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ**﴾.[٢]» ذكره القشيريّ أبو نصر.[٣]

ولاؤه للإمامة:

موقف عرف به الرجل واشتهر، أن سجّل ملفُه ولاءً عظيماً لإمامة عليٍّ عليه السلام، وكان واعياً لما تحمله هذه الإمامة للأمة من عطاء عظيم، ولما تتوفر عليه من خير لها، وفي الوقت نفسه كان عارفاً بكل ما تتعرض له من مؤامرات، وخطورة التآمر عليها وضخامته، كما كان حريصاً أن يؤدي واجبه، وأن يفي بتعهداته التي قطعها على نفسه في البيعتين في العقبة الأولى والثانية في صدق الولاء لرسول الله صلى الله عليه وآله ومشروعه السماوي سواء أكان في حياته صلى الله عليه وآله أم بعد وفاته صلى الله عليه وآله فهو عهد مستمر عليه أن يفي به دون تردد أو توقف أو تبديل حتى

١ . الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، سورة التكاثر : ٨.

٢ . سورة سبأ : ١٧.

٣ . أنظر الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي؛ وتفسيرالتحرير والتنوير لابن عاشور: الآية.

يحكم الله وهو خير الحاكمين، من هنا كانت انطلاقته مخلصةً صادقةً لا ينتابها شك ولا يداخلها ريب، وعلى هذا الأساس راحت مواقفه المؤيدة لخطى الإمامة المتمثلة بالإمام علي عليه السلام تتجذر بقوة وثبات حتى حظي بالشهادة بين يدي الإمام المباركتين، فمن مواقفه:

بيعته للإمام عليٍّ عليه السلام:

كان واحداً ممن عدّهم الشيخ المفيد من الأنصار الذين وفّقوا لبيعة أميرالمؤمنين عليه السلام، وهم الذين بايعوا البيعتين وصلوا القبلتين، واختصوا من مدائح القرآن والثناء عليهم من نبيِّ الهدى عليه وآله السلام، بما لم يختلف فيه من أهل العلم اثنان، ... وقبل هذا قال عنهم: الراضين بإمامته، الباذلين أنفسهم في طاعته، ...[1]

فممن روى خبر البيعة وما كانت عليه الحال أبو مخنف في حرب البصرة عن... لوط بن يحيى الأزدي في كتابه المصنَّف: وقام عمار بن ياسر، وأبو الهيثم بن التيهان، ورفاعة بن رافع بن مالك بن العجلان، وأبو أيوب خالد بن زيد، فقالوا لعليٍّ عليه السلام: إنَّ هذا الأمر قد فسد، وقد رأيت ما فعل عثمان، وما أتاه من خلاف الكتاب والسنة، فابسط يدك نُبايعك؛ لِتُصلحَ من أمر الأمّة ما قد فسد.

فاستقال، وقال: قد رأيتم ما صُنع بي، وعرفتم رأي القوم، فلا حاجة لي فيهم.

فأقبلوا على الأنصار، وقالوا: يا معاشر الأنصار! أنتم أنصار الله وأنصار رسوله، وبرسوله أكرمكم الله، وقد علمتم فضل عليٍّ وسابقته في الإسلام وقرابته ومكانته من النبي صلى الله عليه وآله، وإن ولّي أنالكم خيراً.

---

١ . أنظر كتاب الجمل، للشيخ المفيد : ١٠١ - ١٠٦.

فقال القوم: نحن أرضى الناس به، ما نريد به بدلاً، ثم اجتمعوا عليه فلم يزالوا به حتى بايعوه.

وبإسناده عن أبي الهيثم بن التيهان، قال: يا معاشر الأنصار! قد عرفتم رأيي ونصحي ومكاني من رسول الله صلى الله عليه وآله، واختياره إياي، فردّوا هذا الأمر إلى أقدمكم إسلاماً، وأولاكم برسول الله صلى الله عليه وآله، لعلَّ الله يجمع به ألفتكم، ويحقن به دماءكم. فأجابه القومُ بالسمع والطاعة...[1]

هذا وأنه لم يكتف بأن يكون مبايعاً للإمام عليه السلام، يأخذان له عليه السلام البيعةَ من الناس هو وعمار بن ياسر، بل راح يذكر الشيخ الطوسي:

أنّهم اجتمعوا على علي بن أبي طالب عليه السلام فبايعوه، فقام وحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد، هذه الولاية، فإني قد كنت كارهاً يعلم الله في سماواته وفوق عرشه على أمة محمد صلى الله عليه وآله حتى اجتمعتم على ذلك، فدخلت فيه،... فقام إليه الناس فبايعوه، فأول من قام فبايعه طلحة والزبير، ثم قام المهاجرون والأنصار وسائر الناس حتى بايعه الناس، وكان الذي يأخذ عليهم البيعة عمار بن ياسر و أبو الهيثم بن التيهان نبايعكم على طاعة الله وسنة رسوله، وإن لم نفِ لكم فلا، وهما يقولان: طاعة لنا عليكم، ولا بيعة في أعناقكم، والقرآن إمامنا وإمامكم...».[2]

وشهد يوم الرحبة حين قال لهم أمير المؤمنين عليه السلام بعد حمده الله وثنائه عليه: «أنشد الله من شهد يوم غدير خم إلا قام، ولا يقوم رجل يقول: إنّي نبئت وبلغني إلا رجل سمعت أذناه ووعاه قلبه، فقام سبعة عشر رجلاً منهم: خزيمة بن ثابت، وسهل بن سعد...وأبو الهيثم بن التيهان، ورجال من قريش،

---

١ . المصدر السابق، ومصادره في الهامش : ١٢٨ – ١٢٩.

٢ . أنظر كتاب الأمالي، للشيخ الطوسي : ٧٢٨.

فقال عليّ رضي الله عنه وعنهم: هاتوا ما سمعتم.

فقالوا: نشهد أنّا أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله من حجّة الوداع، حتّى إذا كان الظهر خرج رسول الله صلى الله عليه وآله، فأمر بشجيرات فشذبن، وألقى عليهن ثوب، ثمّ نادى بالصلاة، فخرجنا فصلينا، ثمّ قام فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: (أيّها الناس ما أنتم قائلون؟) قالوا: قد بلّغت. قال: (اللّهمّ اشهد). ثلاث مرّات. قال: (إنّي أوشك أن أُدعى فأُجيب، وأنّي مسؤول وأنتم مسؤولون)... ثمّ قال: (أيّها الناس إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، نبّأني بذلك اللطيف الخبير). وذكر الحديث في قوله صلى الله عليه وآله: (من كنت مولاه فعليّ مولاه ، فقال عليّ عليه السلام: صدقتم، وأنا على ذلك من الشاهدين».[1]

وقد أخرجه ابن عقدة من طريق محمّد بن كثير عن فطر وأبي الجارود، كلاهما عن أبي الطفيل عن الحسين بن المبارك قال: حدثنا الحسن بن سلمة قال: لما بلغ أمير المؤمنين صلوات الله عليه مسير طلحة والزبير وعائشة من مكة إلى البصرة، نادى: الصلاة جامعة، فلما اجتمع الناس حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد فإن الله تبارك وتعالى لما قبض نبيَّه صلى الله عليه وآله وسلم قلنا: نحن أهل بيته، وعصبته، وورثته، وأولياؤه، وأحق خلائق الله به، لا ننازع حقه وسلطانه، فبينما نحن على ذلك إذ نفر المنافقون، فانتزعوا سلطان نبيّنا منا، و ولوه غيرنا، فبكت لذلك والله العيون والقلوب منا جميعاً، وخشنت والله الصدور، وأيم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين وأن يعودوا إلى الكفر، ويعور الدين، لكنا قد غيرنا ذلك ما استطعنا.

وقد ولي ذلك ولاة، ومضوا لسبيلهم، ورد الله الأمر إليّ، وقد بايعني هذان

---

١ . عن السمهودي أُنظر: معجم رجال الحديث ٢٣ : ٩٠ رقم١٤٩٤١.

الرجلان، طلحة والزبير فيمن بايعني، وقد نهضا إلى البصرة ليفرقا جماعتكم ويلقيا بأسكم بينكم.

أللهم فخذهما بغشهما لهذه الأمة، وسوء نظرهما للعامة».

وهنا قام أبو الهيثم بن التيهان رحمه الله وقال:

يا أمير المؤمنين، إن حسد قريش إيّاك على وجهين: أمّا خيارهم فحسدوك منافسة في الفضل، وارتفاعاً في الدرجة، وأمّا أشرارهم فحسدوك حسداً أحبط الله به أعمالهم، وأثقل به أوزارهم، وما رضوا أن يساووك حتّى أرادوا أن يتقدّموك، فبعدت عليهم الغاية، وأسقطهم المضمار، وكنت أحقّ قريش بقريش، نصرت نبيّهم حيّاً، وقضيت عنه الحقوق ميّتاً، والله ما بغيهم إلاّ على أنفسهم، ونحن أنصارك وأعوانك، فمرنا بأمرك، ثمّ أنشأ يقول:

إنّ قوماً بغوا عليك وكادوك ... وعابوك بالأُمور القباح

ليس من عيبها جناح بعوض ... فيك حقّاً ولا كعشر جناح

أبصروا نعمة عليك من الله ... وقرماً يدق قرن النطاح

وإماماً تأوي الأُمور إليه ... ولجاماً يلين غرب الجماح

حاكماً تجمع الإمامة فيه ... هاشمياً له عراض البطاح

حسداً للذي أتاك من الله ... وعادوا إلى قلوب قراح

ونفوس هناك أوعية البغض ... على الخير للشقاء شحاح

من مسر يكنه حجب الغيب ... ومن مظهر العداوة لاح

يا وصي النبي نحن من الحق ... على مثل بهجة الاصباح

فخذ الأوس والقبيل من الخزرج ... بالطعن في الوغى والكفاح

ليس منا من لم يكن لك في الله ... ولياً على الهدى والفلاح

فجزّاه أمير المؤمنين عليه السلام خيراً، ثم قام الناس بعده فتكلم كل واحد بمثل مقاله.[١]

وكان له كلام حول ما فعله طلحة والزبير ومن معهم، جاء بعد كلام الأشتر رحمه الله، فقام وقال:

يا أمير المؤمنين صبَّحهم الله بما يكرهون، فإن أقبلوا قبلنا منهم، وإن أدبروا جاهدناهم أو لنجاهدنهم؛ فلعمري ما قوم قتلوا النفس التي حرم الله قتلها، وأخذوا الأموال وأخافوا أهل الإيمان بأهلٍ أن يُكفَّ عنهم.

وقد نسب إليه أنّه أنشد قائلاً:

قل للزبير وقل لطلحة إنّنا ... نحن الذين شعارنا الأنصارُ
نحن الذين رأت قريشٌ فعلنا ... يوم القليب أُولئك الكفّارُ
كنّا شعارَ نبيّنا ودثارَه ... يفديه منّا الروحُ والأبصارُ
إنّ الوصيَّ إمامُنا ووليّنا ... برَحَ الخفاءُ وباحتِ الأسرارُ.[٢]

موقفه في معركة الجمل وصفين:

وقد ضمّت هاتان المعركتان جمعاً من وجوه المهاجرين ونقباء الأنصار، وكان ابن التيهان أحدهم.

فمن المعروف أنّه اشترك مع الإمام علي عليه السلام في حربي الجمل وصفّين، وكان فيهما من قادة الجيش.

١ . الأمالي للشيخ المفيد: ١٥٤ مجلس١٩. الحسن بن سلمة: لم نعثر عليه بهذا العنوان، وإن قلنا بتصحيف «الحسين» بالحسن فلا بد من الإرسال أو الإضمار؛ لأن الحسين بن سلمة المعنون في الرجال من أصحاب الصادق عليه السلام. المحقق.

٢. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١: ١٤٣-١٤٤، ما ورد في وصاية عليعليه السلام من الشعر.

شعره في حرب الجمل

قال رضي الله عنه أبياتاً من الشعر يوم الجمل، منها:

قـل للزبـير وقـل لطلحـة إنّنـا ... نحـن الذيـن شـعارنا الأنصـار
نحن الذيـن رأت قريـش فعلنا ... يـوم القليـب أُولئـك الكفّـار
كنّـا شـعار نبيّنـا ودثـاره ... يفديـه منّـا الـروح والأبصـار
إنّ الـوصي إمامنـا ووليّنـا ... برح الخفاء وباحت الأسرار.[1]

يوم صفّين:

كان من المشاركين بقوّة في معركة صفين إلى جانب الإمام عليٍّ عليه السلام، ضدَّ معاوية وجنده، ومما ذكر له قبل أن تكتب له الشهادة بين يدي الإمام عليٍّ عليه السلام أنه ألقى خطبةً.

١ . المصدر السابق.

قال نصر: وأقبل أبو الهيثم بن التيّهان، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله بدرياً نقيباً عقبياً، يسوّي صفوف أهل العراق ويقول:

يا معشر أهل العراق! إنّه ليس بينكم وبين الفتح في العاجل، والجنّة في الآجل إلاّ ساعة من النهار، فأرسوا أقدامكم، وسوّوا صفوفكم، وأعيروا ربّكم جماجمكم، واستعينوا بالله إلهكم، وجاهدوا عدوّ الله وعدوكم، واقتلوهم قتلهم الله وأبادهم! واصبروا فإنّ الأرض لله يورثها مَن يشاء من عباده، والعاقبة للمتّقين.[١]

وقد حظي بالشهادة:

واستشهد في صفين: وقبل أن نثبت استشهاده في معركة صفين، وأنه هو القول الأصح من بين أقوال عديدة في وفاته رضوان الله تعالى عليه، نذكر ما قيل فيها:

فعن الأصمعي (١٢١ ٢١٦ هجرية) أنه قال: سألت قوم أبي الهيثم، فقالوا: مات في حياة النبي صلى الله عليه وآله.

أنه توفي بالمدينة سنة عشرين في زمن خلافة عمر بن الخطاب كما في طبقات ابن سعد.

قال الواقدي: هذا أثبت عندنا ممن روى أنه قتل بصفين مع علي، أو أنه توفي في سنة إحدى وعشرين.

أنه استشهد مع الإمام علي عليه السلام يوم صفين سنة سبع وثلاثين.

وقيل: إنه بقي بعد صفين بيسير.[٢]

---

١ . أنظر شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي ٥ : ١٩٠، مؤسسة مطبوعات إسماعيليان، إيران قم. وهو نصر بن مزاحم المنقري (ت: ٢١٢هـ) صاحب كتاب صفين.

٢ . راجع الروض الأنف ؛ والاستيعاب ؛ وهامش الصفحة: ٤٣٣ من الجزء الثاني من السيرة النبوية لابن هشام ؛ وانظر ابن قتيبة في المعارف : ٢٧٠ ؛ وابن سعد في الطبقات٣ : ٤٤٩.

والأصح أنه استشهد في معركة صفين، والأدلة هي:

الخطبة المروية عن الإمام عليٍّ عليه السلام دليل على استشهاد هذا الصحابي الجليل ابن التيهان في معركة صفين.

والدليل الآخر هو ما رواه ابن عبد البر في الاستيعاب عن وفاة مالك بن التيهان حيث قال: وقيل: إنّه توفي سنة عشرين أو إحدى وعشرين وقيل: إنّه أدرك بصفين وشهدها مع عليّ وهو الأكثر.[١]

وما رواه ابن الأثير في كامله: بأنّ ابن التيهان شهد صفين مع عليّ عليه السلام سنة ٣٩هـ وقتل فيها.[٢]

وما ذكر في أسد الغابة: أنّه أدرك صفين وشهدها مع عليّ وقتل بها وهو الأكثر.[٣]

---

١ . الاستيعاب ٤: ١٧٧٣.

٢ . الكامل، ابن الأثير ٣: ٢٢٥.

٣ . أسد الغابة ٥: ٣١٨.

هذا إضافةً إلى ما رواه الطبري في تاريخه، وابن الأثير في كامله، وابن خلدون في تاريخه، وابن كثير في البداية والنهاية بأنّ مالك بن التيهان ممّن استجاب لدعوة أمير المؤمنين عليه السلام في المسير من المدينة إلى البصرة لمحاربة أهل الجمل، وهذه الواقعة كما هو معلوم جرت سنة ٣٦ للهجرة.[١]

فختاماً لحياة إيمانية واعية، كانت الشهادة وساماً له رضوان الله تعالى عليه، حيث استُشهد في شهر صفر سنة ٣٧هـ بحرب صفّين، ودُفن في منطقة صفّين.

وراح الإمامُ عليٌّ سلام الله عليه يؤبّنه ويُثني عليه حيث قال:

«أين إخواني الذين ركبوا الطريق، ومضوا على الحقّ! أين عمّار! وأين ابن التيّهان! وأين ذو الشهادتين أي خُزيمة بن ثابت الأنصاري وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنية».

وقد ندبه الإمامُ عليٌّ عليه السلام، وتأوّه عليه وعلى نظرائه من الصحابة الأبرار، في خطبة له رويت عن نوف البكالي أنّه قال:

خطبنا بهذه الخطبة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بالكوفة، وهو قائم على حجارة، نصبها له جَعْدَة بن هُبَيْرة المخزومي،...

ثمّ قال عليه السلام:

«أيّها النّاس، إنّي قد بثثت لكم المواعظ الّتي وعظ بها الانبياء أممهم، وأدّيت إليكم ما أدّت الأوصياء إلى من بعدهم، وأدّبتكم بسوطي فلم تستقيموا، وحدوتكم بالزّواجر فلم تستوسقوا.[٢] لله أنتم! أتتوقّعون إماما غيري يطأ بكم الطّريق، ويرشدكم السّبيل؟

---

١ . تاريخ الطبري ٣: ٤٦٥ ؛ الكامل، ابن الأثير ٣: ١١٣ ؛ تاريخ ابن خلدون ٢: ١٥٤ ؛ البداية والنهاية ٧: ٢٦١.

٢ . استَوْسَقَتِ الإبل: اجتمعت وانضمّ بعضها إلى بعض.

ألا إنّه قد أدبر من الدّنيا ما كان مقبلاً، وأقبل منها ما كان مدبراً، وأزمع التّرحال عباد الله الاخيار، وباعوا قليلا من الدّنيا لا يبقى، بكثير من الآخرة لايفنى.

ما ضرّ إخواننا الّذين سفكت دماؤهم وهم بصفّين ألاّ يكونوا اليوم أحياء؟ يسيغون الغصص، ويشربون الرّنق!،[١] قد والله لقوا الله فوفّاهم أجورهم، وأحلّهم دار الأمن بعد خوفهم.

أين إخواني الّذين ركبوا الطّريق، ومضوا على الحقّ؟ أين عمّار؟ وأين ابن التّيّهان؟ وأين ذوالشّهادتين؟ وأين نظراؤهم من إخوانهم الّذين تعاقدوا على المنيّة، وأبرد برؤوسهم إلى الفجرة»؟[٢]

ثمّ ضرب عليه السلام بيده إلى لحيته، فأطال البكاء، ثمّ قال:

«أوّه على إخواني الّذين تلوا القرآن فأحكموه، وتدبّروا الفرض فأقاموه، أحيوا السّنّة، وأماتوا البدعة، دعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتّبعوه.[٣]

وراحت أمينة الأنصارية ترثيه قائلة:

منع اليوم أن أذوق رقادا ... مالكٌ إذ مضى وكان عمادا
يا أبا الهيثم بن تيهان إني ... صرت للهمِّ معدنًا ووسادا
إذ غدا الفاسقُ الكفورُ عليهم ... إنه كان مثلها معتادا
أصبحوا مثل من ثوى يوم أحدٍ ... يرحم الله تلكم الأجسادا[٤]

---

١ . الرَنِقُ : بكسر النون وفتحها وسكونها ـ: الكَدِر.

٢ . وَأُبْرِدَ برُؤوسِهِمْ إِلَى الْفَجَرَةِ: أرسلت رؤوسهم مع البريد بعد قتلهم للبغاة للتشفّي منهم رضي الله عنهم.

٣ . نهج البلاغة، ضبط نصَّه الدكتور صبحي الصالح، الخطبة: ١٨٢.

٤ . أنظر وقعة صفين لنصر بن مزاحم المنقري، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي، قم إيران : ٣٦٥.

أقوال علماء الرجال فيه:

حظي بمنزلة محترمة في تقييمات علماء الرجال عند الفريقين، وقد ذكرنا بعض كلامهم ضمن الحديث عنه أعلاه، وهنا نكتفي بشيءٍ موجز مما تيسر لنا من كلامهم، وبما ذكره السيد الخوئي قدس سره، فقد تحدث عنه في موضعين من معجمه:[1]

الموضع الأول تحت رقم ٩٨١٨: مالك بن التيهان: هو أبو الهيثم بن التيهان، على ما صرّح به في الاستيعاب وأسد الغابة وغيرهما... ويأتي بيان حاله في (أبو الهيثم بن التيهان) في الكنى.

الموضع الثاني تحت رقم ١٤٩٤١: أبو الهيثم بن التيهان: من أصحاب علي عليه السلام، رجال الشيخ (١).

وعدّه البرقي من جملة الاثني عشر الذين أنكروا على أبي بكر (في تصدّيه الخلافة)، وذكره الصدوق قدس سره في الخصال: الجزء (٢)، أبواب الاثنى عشر، الحديث (٤).

روى عن أمير المؤمنين عليه السلام، وروى عنه سلمة بن كهيل. الروضة: الحديث (٥).

وهو من النقباء الاثني عشر الذين اختارهم رسول الله صلّى الله عليه وآله بإشارة من جبرئيل عليه‌السلام، ذكره الصدوق في الخصال: الجزء (٢)، الباب المذكور، الحديث (٧٠).

وتقدّم في أسعد بن زرارة. وهو من الذين مضوا على منهاج نبيّهم ولم يغيّروا ولم يبدّلوا، ذكره الصدوق في العيون: الجزء (٢)، الباب (٣٥)، فيما كتبه الرضا عليه السلام إلى المأمون في محض الايمان، الحديث (١)، وتقدّم في

---

١ . أنظر معجم رجال الحديث ١٥، ٢٣.

ترجمة جندب بن جنادة.

وذكره في الخصال أيضاً، الجزء (٢)، أبواب المئة فما فوق في خصال من شرايع الدين، الحديث (٩).

ومن السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام، ذكره الكشّي في ترجمة أبي أيوب الانصاري (٦)، وتقدّم في براء بن مالك.

وكان هو وعمّار بن ياسر يأخذان البيعة لأمير المؤمنين عليه السلام. أمالي الشيخ: الجزء (٢)، مجلس يوم الجمعة الثالث من ذي القعدة سنة (٤٥٧)، الحديث (٥).

وغير ذلك من الروايات الدالّة على ولائه لعلي عليه السلام.

وقد ذكر الشيخ المفيدﷺ له كلاماً وأبياتاً حينما ولي علي عليه السلام الخلافة وجزاه أمير المؤمنين عليه السلام خيراً. الأمالي: المجلس التاسع عشر، الحديث (٦).

وللمزيد هناك تفصيل في الفوائد الرجالية للسيد بحر العلوم ٣ : ١٩٥.

باب الميم مالك بن التيهان: بن مالك، أبو الهيثم الأنصاري.[١]

وقال ابن الأثير في جامع الأصول: أبوالهيثم مالك بن التهيان بن مالك، وقيل: اسم التيهان مالك بن عمرو بن زيد، وفي نسبه خلاف فمنهم من يجعله أنصاريا من الاوس، ومنهم من يجعله بلوياً من بلي بن الحاف بن فضاعة، ويقال: انه حليف بني عبد الاشهل، شهد العقبة الاولى والثانية مع السبعين، وكان أحد الستة الذين لقوا رسول الله صلى الله عليه وآله قبل ذلك بالعقبة

---

١ . الفوائد الرجالية، للسيد بحرالعلوم ٣ : ١٩٥.

الهيثم بفتح الهاء وسكون الياء وبالثاء المثلثة، والتيهان بفتح التاء فوقها نقطتان وتشديد الياء تحتها نقطتان وكسرها وبالنون، وبلي بفتح الباء الموحدة وكسر اللام وتشديد الياء، والحاف بالحاء المهملة وكسر الفاء. الفوائد الرجالية من جامع الأصول بعد الجزء الثاني عشر.

وفي المعجم الكبير للطبراني١٩ باب الميم. مالك بن التيهان أبو الهيثم الأنصاري.

فيما زعم بنو عبد الاشهل، وهو أحد النقباء الاثنا عشر، وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها، روى عنه أبوهريرة، وقيل: مات في خلافة عمر سنة عشرين بالمدينة، وقيل: قتل مع علي عليه السلام بصفين سنة سبع وثلاثين وقيل: غيرذلك.

لم يزل بالمدينة حتى توفي بها سنة عشرين.

من أخباره حدثنا محمد بن عمرو بن خالد الحراني، ثنا أبي، ثنا ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة في تسمية من شهد العقبة من الأنصار، ثم من الأوس من بني عبد الأشهل، أبو الهيثم بن التيهان، وهو نقيب، وقد شهد بدراً، وهو أول من بايع على الإسلام في العقبة.[1]

فرضوان الله تعالى عليه من عبدٍ مؤمنٍ واعٍ ذي بصيرة في إسلامه، وصدقٍ في ولائه لأهل البيت عليهم السلام، وفي مواقفه!

١ . المعجم الكبير، الطبراني ١٩ : ٢٤٩ـ ٢٥٠.